الدرس الأولى السنة الثانية ليسانس

مقياس. تاريخ وحضارة المغرب والاندلس. د سي عبد القادر

الفتح الإسلامي لبلاد المغرب

مقدمة يطلق مصطلح المغرب على المناطق الممتدة من حدود مصر (برقة) حتى المحيط الأطلسي، وقد ارتبط ظهور هذا المصطلح بعصر الفتنة بين علي ومعاوية، أي قبل منتصف القرن الأول الهجري، وقد استعمل في هذه الفترة للدلالة على الجزء الغربي من العالم الإسلامي، فابن الاثير يشير الى أن عليا رضي الله عنه أثناء استعداده لحرب معاوية في الشام خاطب رجاله في الكوفة ب" تجهزوا للسير الى عدوكم من اهل المغرب "كما قال لعامله على البصرة، " قد جمعنا على المسير الى عدونا من أهل المغرب"،(الإشارة الى دمشق) ومع القرن الثالث الهجري اصبح المصطلح يعني المناطق الواقعة غرب مصر، فقد استعمل ابن عبد الحكم عند الحديث عم معاوية بن حديج بقوله " خرج الى المغرب" ، بنما يرى البعض الاخر أن بلاد المغرب مقسما الى ثلاثة أجزاء او مغارب، حسب القرب أو البعد من مركز الخلافة، المغرب الأدنى او افريقية وكانت قاعدته في صدر الإسلام مدينة القيروان، ويمتد من برقة الى بجاية او نفوسة، المغرب الأوسط يمتد من بجاية الى وادي ملوية وقاعدته مدينة تلمسان، المغرب الأقصى يمتد من وادي ملوية الى المحيط الأطلسي وقاعدته مدينة فاس ثم مراكش.(السلاوي، الاستقصا ج1)

اما عناصر السكان في بلاد المغرب، فقد سكن المنطقة منذ القديم الامازيغ والافارقة إضافة الى بعض العناصر الأخرى التي دخلت المنطقة بعد ذلك.

الافارقة، وهم بقايا شعب قرطاجنة وخليط من المستعمرين اللاتينيين ورغم انهم ليسوا من البربر الا انهم انصهروا في حياتهم الجديدة بمدن المغرب واستقروا بها.

الامازيغ او البربر وهم السواد الأعظم، ينقسم البربر الى مجموعتين: الحضر تأثروا بالحضارة البيزنطية وهم الذين يعرفون بالبرانيس، والرحل او البدو ويعرفون بالبتر، وتنقسم المجموعتين الى العديد من القبائل.

D si abdelkader

الروم والبيزنطيين، الذين دخلوا بلاد المغرب واستقروا في المناطق الساحلية، وبعد الفتح الإسلامي دخل عنصر جديد الى المنطقة وهم العرب.

1 الفتح الإسلامي لبلاد المغرب.

استغرق الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مدة طويلة قاربت 70 عاما وذلك لعدة عوامل منها صعوبة البلاد من الناحية الجغرافية (سلاسل جبلية وصحراء واسعة)، اشتداد حركة المقاومة الامازيغية، تدخل الوم والبيزنطيين الحرب ضد المسلمين.

بعد أن فتحت مصر على يد القائد عمرو بن العاص سنة 21هـ 642م كان من الطبيعي ان يمتد الفتح تجاه بلاد المغرب باعتباره امتداد جغرافي للمنطقة، إضافة الى رغبة المسلمين في تخليص هذه الشعوب من قبضة المستعمرين ونشر الدين الإسلامي، وقد مر الفتح الإسلامي بمرحلتين أساسيتين.

مرحلة الاستطلاع 21هـ الى 49هـ (الارهاصات)

بعد فتح مصر تطلع عمرو بن العاص الى فتح بلاد المغرب لتأمين حدود مصر من الخطر البيزنطي، فأرسل حملة استطلاعية بقيادة عقبة بن نافع الى برقة ثم سار هو بنفسه بعد ان اطمأن لنتائج الحملة الأولى الى برقة التي كان تسكنها قبيلة لواتة البترية، وقد حقق عمرو بن العاص انتصارات عديدة فبعد ان قدم سكان برقة الطاعة للمسلمين واصل عمرو السير الى طرابلس ثم فتح بنزرت، وعندما استشار الخلفة عمر بن الخطاب في مواصلة الفتح رفض هذا الأخير وامره بالتوقف وعدم المخاطرة بالجيش في مناطق مجهولة.

وفي عهد عثمان بن عفان أسندت ولاية مصر الى عبد الله بن سعد بن ابي سرح الذي قاد حملة الى افريقية سنة 27هـ 648م ، وقد حقق هذا الوالي انتصارات كبيرة حيث تمكن من القضاء على القائد البيزنطي جرجير (القائد جريجوريوس المعروف بجرجير عند العرب) وفتح سبيطلة وفرض الجزية عليهم وجمع غنائم كثيرة، وبعدها عاد الى مصر و اكتفى بما حققه من نصر دون المخاطرة

Dr.Abdelkader

بجنوده.(سبب الرجوع دون ان يترك أحدا نظرا لتأهب البيزنطيين للانتقام لمقتل جرجير، او نظرا لكثرة الغنائم والمحافظة عليها).

وفي هذا الوقت دخلت الخلافة الإسلامية في مرحلة الفتنة بداية من مقتل عثمان رضي الله عنه وظهور الصراع بين علي ومعاوية لينتهي بمقتل علي رضي الله عنه، فتوقفت الفتوحات عدة سنوات، وفي عهد الدولة الاموية ادرك معاوية أهمية افريقية من الناحية الاقتصادية ودورها الاستراتيجي لذلك تجددت الفتوحات حيث قرر معاوية مواصلة الفتح وعهد بهذه المخمة الهامة الى معاوية بن حديج سنة 45هـ الذي تمكن من فتح عدة مدن في افريقية منها قابس وسوسة وبنزرت، وهنا تنتهي المرحلة الأولى من مراحل الفتح حيث مكنت المسلمون من الاحتكاك بالربر ومعرفة أحوال بلاد المغرب.(حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والاندلس)

مرحلة التنظيم 50-89/670-708م (الفتح الحقيقي او الارتكاز والانتشار)

حملة عقبة بن نافع 50-55هـ تولى عقبة قيادة الجيوش سنة 50هـ فدخلت الفتوحات بذلك مرحلة الفتح الحقيقي، وبعد ان تمكن عقبة من فتح بعض المدن اقام معسكرا دائما لتثبيت الإسلام والذي تحول الى مدينة القيروان في موقع بوادي كثير الشجر تأوي اليه السباع والوحوش وهو موقع بعيد عن الساحل لتفادي غارات الاسطول البيزنطي، واقام بها مسجدا وامر الناس ببناء دورهم حول المسجد.

ولاية أبو المهاجر دينار 55-62هـ/ 675-682م

بعد إتمام بناء القيروان عزل عقبة وعين أبا المهاجر (سبب العزل له علاقة بسيسة عقبة مع البربر، وكذلك الى رغبة مسلمة بن مخلد والي مصر) الذي عرف بالدهاء وحسن السياسة، فقد تعامل مع البربر بطرقة تحفظ لهم مكانتهم وشخصيتهم فتمنك من استمالة البربر البرانيس اليه وعلى راسهم كسيلة الأوربي الذي ترك المسيحية ودخل الإسلام، استمر أبو المهاجر سبع سنوات حقق فيها ما لم يحققه قبله قائد مسلم في بلاد المغرب، ووصلت فتوحه الى مشارف المغرب الأقصى.

ولاية عقبة الثانية 62-64هـ/682-684م

D si abdelkader

بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان سنة 60هـ أعاد الخليفة يزيد بن معاوية عقبة الى بلاد المغرب للمرة الثانية أعطاه سلطة أوسع حيث استقل إداريا عن مصر، وبعد وصوله الى افريفية قام باعتقال أبا المهاجر وكسيلة وبالتالي فقد خسر البربر الذين في صف ابي المهاجر، ثم قام بحملته الكبرى في بلاد المغرب ووصل الى المحيط الأطلسي، ففتح عدة مدن وقلاع وقام ببناء مسجدا بسوسة واخر في درعة وبعد هذه الانتصارات سرح معظم جيشه الى القيروان ويقي معه 5000 الاف فقط، واثناء رجوعه تفاجا بظهور كسيلة الذي كان قد فر من سجنه وقرر الانتقام من عقبة لذلك تحالف مع الروم، ودارت بينها معركة عند تهودة سنة 64هـ استشهد فيها عقبة وأبو المهاجر، وبعدها استولى كسيلة على القيروان.(ابن عبد الحكم ،فتوح مصر والمغرب)

ولاية زهير بن قيس البلوي 69هـ/688م

لم تستطيع الخلافة الاموية مواصلة الفتح بسبب المشاكل الداخلية وثورة عبد بن الزبير، وفي عهد عبد الملك بن مروان تجدد الفتح حيث امر زهير البلوي بالتحرك الى افريقية، هذا الخير ورغم صعوبة المهمة الا انه استطاع الحاق الهزيمة بالروم وحلفهم كسيلة وبذلك انتهت مقاومة البربر البرانيس وانتقلت المقاومة الى البربر البتر وزيمتهم الكاهنة من قبيلة جراوة، وقد قتل زهير في هذه المواجهة في نفس السنة.

ولاية حسان بن النعمان 73-85هـ/693-704م

بعد القضاء على ثورة عبد الله بن الزبير أعاد عبد الملك بن مروان التفكير في إتمام فتح بلاد المغرب واختار لهذه المهمة حسان بن النعمان، الذي كان له مكانة مرموقة لدى بني أمية، فجهز له الخليفة جيشا كبيرا قوامه أربعون الفا وزوده بكل وسائل النصر، وكان ذلك سنة 74هـ ، وعمل حسان في البداية على تحطيم قوة الروم لضرب التحالف بينهم وبين البربر، فاتجه بداية الى قرطاجنة مركز الروم وتمكن من فتحها ثم فتح بنزرت وقضى على معاقل الروم ثم عاد الى القيروان استعدادا لمواصلة الفتح،(ابن عذارى البيان)، وفي هذه المرحلة علم بوجود الكاهنة في جبل الاوراس تحكم قبائل البربر، لذلك عمل على مواجهتها وفعلا التقى بالكاهنة في واد مسكيانة ودارت معركة طاحنة انهزم فيها المسلمين وعاد حسان الى برقة.

Dsi abdelkader

وبعد ان وصلته الإمدادات عزم على جولة ثانية من المواجهة، وكانت الكاهنة قد أمرت بتخريب الزروع وهدم القلاع والحصون الانها كانت ترى ان المسلمين كان هدفهم من الفتح هو جمع المال والغنائم، (تقدير خاطئ) الا ان تدهور الأوضاع الاقتصادية وقلة الغذاء جعل البربر يلجؤون الى المسلمين، وكان اللقاء الثاني مع الكاهنة سنة 80هـ استطاع حسان أن يوقع الهزيمة بالبربر ويقضي على الكاهنة وبذلك انتهت مقاومة البربر. (ابن عبد الحكم فتوح مصر والمغرب)

وقد اتبع حسان سياسة التقريب من البربر والتسامح، ثم اهتم بتعمير القيروان ودون الدواوين وعربها ووضع الخراج على عجم افريقية ومن اقام معهم من النصرانية، كما اهتم بتنظيم الإدارة والجيش وأشرك البربر في جيشه، ثم قام ببناء مدينة تونس 84هـ 703م كمركز للمسلمين وانشا دار لصناعة السفن، وبهذا دخل المغرب في عهد جديد من التنظيم السياسي.

ولاية موسى بن نصير.

في سنة 87هـ 705م عزل حسان عن افريقية في عهد الوليد بن عبد الملك وتم تعين موسى بن نصير، وكان المغرب قد فتح في معظمه ولم يبق الا بعض مناطق المغرب الأقصى، حيث تمكن موسى بن نصير من فتح طنجة وعهد بها الى مولاه طارق بن زياد، ثم فتح السوس الأدنى وباقي مناطق المغرب الأقصى ثم رجع الى القيروان، وهكذا تم اكتمال فتح بلاد المغرب على يد موسى بن نصير في خلافة الوليد بن عبد الملك، في فترة زمنية طويلة تعدت سبعين سنة وهي مدة طويلة اذا ما قورنت بباقي الفتوحات الأخرى.

2، الفتح الإسلامي للأندلس

يختلف المؤرخون حول الاسباب التي دفعت المسلمين الى فتح الاندلس وخاصة تلك الآراء المتعلقة بمساعدة يوليان حاكم سبتة للمسلمين، فيرى البعض ان اسبابها أخلاقية تتعلق باعتداء لذريق على ابنة يوليان حاكم سبتة لذلك اتصل هذا الاخير بموسى بن نصير انتقاما من الملك القوطي.

أما الرأي الثاني يرجع هذا التعاون الى اسباب سياسية تتعلق بأبناء الملك القوطي غيشته عندما اغتصب لذريق العرش منهم فاتصلوا بحاكم سبتة طالبين المساعدة فقادهم الى موسى بن نصير

D si abdelkader

بالقيروان وتم الاتفاق على ان يمدهم بجيش لاسترجاع ملكهم مقابل جزية سنوية (هذه الرواية ترويها المصادر الاسبانية).

و الراي الثالث يربط الفتح بالصراع الذي كان مستمرا بين المسلمين و البيزنطيين الذين كانوا يهاجمون الشواطئ الافريقية و الجزر القريبة مثل منورقة و ميورقة و صقلية و سردانية و جزر البليار(الجزائر الشرقية) وأن أسطول القوط انضم الى أسطول الروم و بالتالي عمل المسلمون على الاستلاء على هذه الجزر و كان فتح الاندلس مواصلة لهذه الحرب .

هذه الآراء يمكن اعتبارها أسباب مباشرة لأنها حدثت قريبا من زمن الفتح ،الا أن الاسباب الحقيقية هي ان امتداد الفتح الى الاندلس كان أمرا طبيعيا يتماشى مع حقيقة الدعوة الاسلامية و قد تم ذلك بعد أن تهيأت الظروف ، وما يؤكد هذا هي محاولة عقبة بن نافع قبل ذلك فتح الأندلس عندما وصل الى المحيط الاطلسي لكن الظروف لم تكن مناسبة للعبور فتأجل الفتح الى عهد موسى بن نصير ،كما أن الفتح لم يتوقف عند الاندلس بل تواصلت خطة الفتح الى فرنسا و بالتالي فالهدف هو تبليغ رسالة الاسلام و هي الاسباب التي دفعت المسلمون الى الخروج من جزيرة العرب .

ومن العوامل التي ساعدت على الفتح، استقرار المسلمين بأفريقية واعتناق البربر الاسلام وحماستهم لحمل دعوته وبذلهم ارواحهم في سبيل ذلك.

الحذر واليقظة الذين اتصف بهما المسلمون بمحاولة التعرف على حال البلاد من خلال حملات خفيفة سريعة استطلاعية.

اهتمام المسلمون بالأسطول البحري من خلال إقامة دار صناعة السفن في افريقية منذ عهد حسان بن النعمان.

التدهور السياسي والاجتماعي الذي عرفته الاندلس قبل الفتح حيث الظلم و الاضطهاد لأغلب الطبقات الاجتماعية و دور يوليان حاكم سبتة ورجاله في تسهيل مهمة الفاتحين.

Dsi abdelkader

بعد أن اطمأن موسى بن نصير على قدرة المسلمين في العبور الى الاندلس خاصة بعد الدعم الذي قدمه يوليان كتب الى الوليد بن عبد الملك يستأذنه في الفتح، فرد عليه الخليفة بضرورة اخذ الحذر وألا يزج بالمسلمين في أهوال البحر.

ولهذا أرسل موسى حملة استطلاعية بقيادة طريف بن مالك (أبو زرعة) وكان الهدف استكشاف المنطقة ومعرفة أحسن الاماكن التي يمكن النزول بها، وعادت هذه الحملة بالغنائم الكثيرة، وبنجاح الحملة اقتنع المسلمون بالحالة المتدهورة التي كانت عليها الاندلس وبإخلاص يوليان.

شجعت هذه الحملة موسى بن نصير على اعداد جيش كبير من العرب والبربر أسند قيادته لطارق بن زياد – هناك اختلاف كبير حول نسب طارق بن زياد فيرى البعض أنه فارسي من همذان وهو مولى لموسى بن نصير بينما يرى البعض الأخر أنه بربري من قبيلة نفزاوة اعتنق أبوه الاسلام وحسن اسلامه و هذا هو الأقرب الى الصواب –الذي كان عاملا على طنجة و لمس فيه الكفاءة لقيادة هذه الحملة، وكان اعتماد موسى على البربر يعود الى معرفة هؤلاء بطبيعة البلاد الاسبانية المجاورة لهم اضافة الى شجاعتهم و خبرتهم العسكرية.

وفي سنة 92هـ 711م جاز المسلمون المضيق على دفعات و نزلوا في جبل الفتح و تمكنوا من القضاء على المقاومة التي تصدت لهم و تمكنوا من بسط نفوذهم على المناطق المجاورة، و في هذا الوقت جهز لذريق جيشا كبيرا مما جعل طارق يطلب المدد من موسى بن نصير فأمده بخمسة الاف وتمكن المسلمون في معركة " واد لكة " التي دامت ثمانية أيام من الانتصار على جيش لذريق .

بعد هذا الانتصار وجه طارق بعض من جيشه لفتح المدن الاندلسية منها قرطبة بقيادة المغيث الرومي مولى الوليد بن عبد الملك، وفي الوقت نفسه وجه فرقة من جيشه حيث تمكنت من فتح مالقة وغرناطة و مرسية، ثم سار طارق شمالا الى طليطلة فدخلها دون مقاومة بعد أن فر منها حاكمها.

ومع اقتراب فصل الشتاء خشي طارق على جنوده فاستقر بالمدينة واستنجد بقائده موسى بن نصير

وهنا تشير بعض المصادر الى أن موسى بن نصير هو الذي أمر طارق بوقف الفتح حرصا على عدم التوغل بالمسلمين في مجاهل تؤدي الى تدميرهم ، ومهما يكن من أمر فقد عبر موسى مضيق جبل

Dr Sidabdelkader

طارق على رأس عشرة ألاف مقاتل من العرب و ثمانية ألاف من البربر في رمضان سنة 93هـ 712م وسلك موسى طريقا غير الذي سلكه طارق و تمكن من فتح شذونة عنوة ثم سار الى قرمونة ذات الحصون القوية و التي دخلها بمساعدة جنود يوليان ، ومنها تابع سيره الى اشبيلية كبرى مدن الاندلس وحاصرها أشهرا حتى سقطت بيد المسلمين ،وقد أوكل موسى مهمة حماية المدينة الى اليهود بعد تعاونهم مع المسلمين ، وسار موسى الى ماردة المدينة الرومانية القديمة ذات التراث العمراني البديع و قد حاصرها موسى عدة أشهر ثم صالح أهلها على أن يدفعوا الجزية وكان ذلك سنة 94هـ 713 م وفي هذا الوقت ظهر تمرد في اشبيلية فبعث موسى ابنه عبد العزيز الذي أعاد فتح المدينة و أعادها لحظيرة دولة الاسلام .

وبعد هذه الانتصارات واصل موسى السير و التقى بطارق قرب طليطلة عند نهر التاجو Tago،ثم اشتركا القائدان الكبيران في مواصلة فتح ما تبقى من بلاد الاندلس و زحفا نحو الشمال الشرقي حيث فتحا مدنا و حصونا كثيرة ،فاستولا على سرقسطة و مدينة وشقة و لاردة حتى بلغا شاطئ البحر الشمالي عند حدود فرنسا الجنوبية ، وهكذا انتهى كل من موسى بن نصير و طارق من فتوحهما و كانت أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك قد قضت برجوعهما الى دمشق ، فرجع موسى الى دمشق بعد أن خلف على الاندلس ابنه عبد العزيز في أواخر سنة 95هـ 714م .

نتائج الفتح العربي للأندلس

من الناحية السياسية سقطت مملكة القوط وتحولت اسبانيا الى ولاية تابعة للدولة الاسلامية يحكمها ولاة يعينهم والي افريقية أو الخليفة.

ومن الناحية الاجتماعية حدث تغيير شامل في المجتمع الاسباني حيث اختفت الفوارق بين الطبقات وانقسم المجتمع الى: العرب وهم الذين ساهموا في الفتوح أو هاجروا الى اسبانيا بعد الفتح، ثم البربر وهم أهل المغرب وساهموا في الفتوحات، والاسبان وهم سكان البلاد الاصليين وقد تعلموا اللغة العربية وسموا بالمستعربين و بقوا على دينهم بشرط دفع الجزية.

كما ظهرت طبقة اخرى وهي طبقة المولدين والتي نشأت من تزاوج العرب بالإسبان.

Dj abdelkader

أما اقتصاديا فقد تحسنت الاوضاع الاقتصادية وأعيد توزيع الاراضي الزراعية بين العرب والبربر والاسبان توزيعا عادلا وأصبح لهم حق امتلاك الاراضي وزراعتها بعدما كانوا يعملون لصالح الارستقراطية، كما ألغيت الضرائب وفرضت الجزية على غير المسلمين هذا الوضع أدى الى انتشار الرخاء والرفاهية في المجتمع.

وفي مجال الديني واللغوي فقد منح الاسلام السكان جميعا حرية العبادة حسب الديانة التي يعتنقها الفرد سواء كان مسلما او مسحيا او يهوديا، كما أدى الفتح الى انتشار اللغة العربية والاسلام وظهور الحضارة الاسلامية والعلم والثقافة.

D si abdelkader